مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الثالث والعشرون - المجلد الثاني - التاريخ - آذار 2024 م
doi.org/10.52866/esj.2023.02.23.08

السياسة الإدارية لسليمان باشا الصغير في ولاية بغداد وموقف الدولة العثمانية منها 1808 - 1810

عباس حسن كاظم الجنابي
قسم التاريخ/كلية التربية/ الجامعة العراقية
Hasnh4458@gmail.com

ضرار خليل حسن
قسم التاريخ/كلية التربية/ الجامعة العراقية
Drthraralmahdawe@gmail.com

مستخلص:

بعد ان تولى سليمان الصغير حكم بغداد بدأ بتنظيم شؤون ولايته من جميع النواحي فاولى اهتماما كبيرا للمجال الاداري وبدأ بسن القوانين الادارية والتي كادت ان تكون الاولى من نوعها في الدولة العثمانية وتمكن الوالي من تشريعها اعتمادا على فتوى علماء بغداد ، كما اهتم سليمان الصغير بمسالة تزايد النفوذ الاجنبي في ولاية بغداد وسعى للحد من قوتهم داخل الولاية اذ رفض وجود قوة تعلو فوق قوته الا ان سياسته لقيت معارضة كبيرة من الباب العالي اذ شعرت ان سليمان الصغير يسعى للاستقلال بالولاية عن سلطة الدولة العثمانية .

الكلمات المفتاحية: سليمان الصغير، بريطانيا، الباب العالي، فرنسا.

The administrative policy of Suleiman al-Saghir in the state of Baghdad and the position of the Ottoman Empire towards it 1808-1810

Researcher Abbas Hassan Kazem Al-Janabi
College of Education/ Iraqi University
Drthraralmahdawe@gmail.com

supervisor Dirar Khalil Hassan
College of Education/ Iraqi University
Hasnh4458@gmail.com

Abstract:

After Suleiman al-Saghir assumed the rule of Baghdad, he began to organize the affairs of his state in all aspects. He paid great attention to the administrative field and began enacting administrative laws, which were almost the first of their kind in the Ottoman Empire. The governor was able to legislate them based on the fatwa of the scholars of Baghdad. Suleiman al-Saghir also paid attention to the issue of increasing influence. The foreigners in the state of Baghdad and sought to limit their power within the state, as he refused to have a force superior to his power, but his policy met with great opposition from the Sublime Porte if it felt that Suleiman the Younger was seeking independence in the state from the authority of the Ottoman Empire.

Keywords: Suleiman the Younger, Britain, Sublime Porte, France.

1- المقدمة:

ان تاريخ العراق في العهد العثماني كان ولايزال محط اهتمام الباحثين في التاريخ الحديث لاسيما فترة الحكم المماليك تلك الفترة التي كانت ولاتزال يكتنفها بعض الغموض ولم تنل نصيا كافيا من الدراسات والبحث مثل باقي العهود التاريخية التي مرت بالعراق ولعل ذلك يعود لسبب وعوره البحث فيه نظرا لتنوع لغاته وقلة الوثائق التاريخية في المكتبات العراقية.

2 - اجراءات البحث

تناول البحث تولي سليمان الصغير حكم ولاية بغداد والسياسة الادارية للوالي المملوكي سليمان الصغير وما ترتب على تلك السياسة من نتائج على الجوانب السياسية اذ شهد عهده تزايد الصراع بين سلطة الوالي وتزايد النفوذ الاجنبي من جهة وبين الوالي والقوى العشائرية المحلية من جهة اخرى .

3 - مشكلة البحث

قامت إشكالية البحث في توضيح السياسية المتعبة من قبل الوالي سليمان باشا الصغير سواء مع القوى المحلية ام مع السلطة المركزية للدولة العثمانية، وبيان اهمية ما توصلت اليه تلك السياسة من نتائج ومدى تأثيرها وانعكاسها على واقع العراق، كما يتضح لنا دور القادة والحكام في ما وصلت اليه أوضاع العراق منذ ذلك الوقت وحتى الوقت الحالي نتيجة لتكرار السياسة ذاتها من قبل القيادة الحاكمة .

4 - أهداف البحث

تتلخص اهداف البحث في بيان اهم النقاط التالية.

1. كيف تعامل سليمان باشا الصغير مع النفوذ الاجنبي في ولاية بغداد؟

2. هل نجح سليمان باشا الصغير في حل مشكلات الداخلية والخارجية لولايته ام كان امتدادا لسابقيه من الولاة؟

3. ما حدود جدية سليمان باشا الصغير في اتباع الاوامر الصادرة من الباب العالي في اسطنبول ؟

4. الى أي مدى اثرت الطموحات الشخصيه سليمان باشا الصغير على ادائه الإداري لشؤون الولاية؟

أولاً- تكليف سليمان الصغير بمنصب والي بغداد1808

سعى سليمان الصغير للحصول على منصب ولاية بغداد بتفويض رسمي من الدولة العثمانية وبذل كل جهوده لتحقيق مبتغاه والذي زاد من عزمه وإصراره هو تأييد اهالي بغداد ومحبتهم له وساهم ذلك التأييد الشعبي الواسع[1] في رجحان الكفة لصالحه على منافسه يوسف ضياء باشا[2] المرشح الاول والمفضل لدى حكومة الباب العالي[3].

(1) رسول حاوي الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة: موسى كاظم نورس، دار الكتاب العربي، بيروت – مكتبة النهضة بغداد، د.ت ، ص240.

(2) يوسف باشا: هو قور يوسف ضياء الدين باشا الملقب بلاعمى او الاعور وهو رجل دولة عثماني تولى منصب الصدارة العظمى في عام1798 في عهد السلطان سليم الثالث،كما شغل عدة مناصب اخرى منها حاكم ولايات ومناطق مختلفة في انحاء الدولة العثمانية مثل ولاية ديار بكر وطرابزون وارضروم، رشح لمنصب والي بغداد بعد وفاة علي باشا عام1807 قبل سليمان الصغير، تولى منصب الصدارة العظمى مرة ثانية في عهد السلطان مراد الثاني عام1809، توفي عام1819 في جزيرة خيوس .للمزيد ينظر:مجلة المعرفة الالكترونية على الرابط التالي : https://m.marefa.org.

(3) (B.O.A.HAT. 54084/1366. 3) ملحق رقم.

قدم اهالي بغداد ووجهائها دعمهم لسليمان الصغير للحصول على الولاية خلفا لواليها الراحل علي باشا الثاني[1]، نظرا لما تمتع به من شخصية محبوبة من الجميع اذ عرف بإخلاصه وشجاعته، لاسيما في مواجهة الوهابيين والفرس، فضلا عن نشأته في بغداد ومعرفته الواسعة بسكانها [2].

حرر اهالي الولاية محضرا موجها إلى الباب العالي في اسطنبول يرشحون فيه سليمان الصغير للمنصب واهم ما جاء فيه: «**... قام الوجهاء والاعيان والعلماء واجمع رأيهم بالاتفاق على ان يتسلم البلد كتخدا الوزير المقتول وابن اخته المير ميران[3] سليمان باشا نظرا لما يتمتع به المشار اليه من علو الهمة والرشد والشجاعة الجليل الباهر والمقتدر على حكم الممالك الخاقانية صاحب الصفات والذات الحمية واسناد منصب القائمقامية إليه والمشار إليه سيسعى جاهدا وبكل صدق للقضاء على الفساد وازالته ولله الحمد والمنة وسيعمل على أمن ممتلكات كافة اهالي المملكة وارواحهم وراحتهم**»[4].

وبذل سليمان الصغير كل جهوده للحصول على الفرمان السلطاني والحيلولة دون وصول يوسف باشا إلى بغداد، إذ تأهب للعصيان على الدولة لو أصرت على عدم تسليمه مقاليد وزارة بغداد وقد انظم إليه أبناء محلة الميدان في بغداد[5]،والتي يسكنها معظم موظفي الحكومة وشخصيات البلد، وتقرب من السلطات الإيرانية وقدم الهدايا السنية للشاه نفسه، كما اتصل بإعراب نجد وجعلهم يستقرون في المناطق الممتدة بين بغداد وسنجار [6].

لم يكتفي سليمان الصغير بالاعتماد على تأييد سكان ولاية بغداد له بل استنجد بالسفير الفرنسي في اسطنبول المسيو سباستياني Sebastiani [7]، ففي الوقت الذي كانت فيه الاضطرابات في بغداد مستمرة وتتردد صداها في عاصمة الدولة كانت مسألة اختيار والي بغداد على جدول اعمال السفير الفرنسي فإلى جانب رفضة اختيار يوسف ضياء باشا واليا لبغداد قد بعث برسالة إلى رئيس الكتاب حالت افندي تحدث فيها عن الوضع المتوتر في

(1) علي ظريف الاعظمي، مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث او بغداد في (4000) سنة، مطبعة الفرات، بغداد، 1926،ص215.

(2) علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق 1750-1830، منشورات وزارة الاعلام، العراق، د.ت،ص71.

(3) المير ميران: هي كلمة ايرانية، ولقب عثماني تشريفي ويعني امير الامراء باللغة العربية، شاع استخدامه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ويمنح للعسكرين الحائزين على رتب وزير،امير اللواء والفريق و المشير ويطلق على حامل هذا اللقب اسم الباشا.ينظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ط1، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ،2001 ، ص52.

(4) B.O.A.HAT.108/4282. ينظر ملحق رقم (4).

(5) جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة،ج1،ط1، مطبعة دار الكتب، بيروت ، د.ت ، ص260.

(6) المصدر نفسه،ص261.

(7) سباستياني Sebastiani: وهو الجنرال هوراس كونت سباستياني زوج اخت نابليون بونابرت ارسل سفيرا لفرنسا لدى الدولة العثمانية في 28 اب 1806، بحجة السيطرة على التجارة الفرنسية في سواحل شمال افريقيا لكنه في الحقيقة ارسل لجذب الامبراطورية العثمانية الى جانب فرنسا وفصلها عن حلفائها روسيا وانكلترا، نجح في مساعية حتى اوصل الدور الفرنسي إلى قمته في الدولة العثمانية ودفع الدولة العثمانية إلى اعلان الحرب على روسيا. للمزيد ينظر: خالد زيادة، المسلمون والحداثة الاوروبية، ط، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، بيروت،2017، ص86.

بغداد وسلطة سليمان الصغير وقدراته الادارية أبدا فيها حماسته لتكليف سليمان الصغير للمنصب [1].

أكد المؤرخ احمد جودت باشا[2] قائلاً: «**عندما أتى المحضر الثاني إلى اسطنبول ،أعطى بعض تجار بغداد خمسة أوستة آلاف أقجة[3] لبعض الناس في اسطنبول على يد سليمان باشا ونيابة عنه يشاع أن الأشخاص المذكورين، من الداخل والخارج،هم أصحاب مصلحة في هذه الأموال ومع ذلك، فمن غير المعروف كيف تم توزيع هذه الأموال وأين تم توزيع معظمها؟» في هذا يلوح إلى حادثة رشوة بالفعل....**»[4].

يتضح لنا مما سبق أيضا ان سليمان الصغير استخدم اسلوب اخر لكسب الولاية وهو تقديم الاموال الكثيرة التي تدخل تحت مسمى الرشوة فهي لم تقدم كهبات او مساعدات بل كانت لهدف كسب تأييد ورضا كبار الشخصيات والمتنفذين في العاصمة اسطنبول ، وبذلك يمكن تلخيص اسباب تعيين سليمان الصغير بالنقاط الاتية:

1. وقوف السفير الفرنسي في الاستانة الجنرال سباستياني بجانب سليمان الصغير مرشحا اياه الى ولاية بغداد[5].

2. عمل سليمان الصغير على استرضاء الباب العالي بالأموال وتوزيعها على المتنفذين في العاصمة، فضلا عن تعهده بإرسال اموال اخرى اذا نال الولاية[6].

3. قلق رجال الدولة في اسطنبول من قيام المماليك بالتمرد والثورة ضد الدولة اذ تم تعيين واليا لبغداد من غير المماليك[7].

4. توتر الاوضاع الداخلية في العاصمة العثمانية اثر قتل السلطان سليم الثالث على يد الانكشاريين[8].

5. ساند اهالي بغداد واعيانها سليمان الصغير معلنين رغبتهم في توليه منصب الولاية وبعثوا التماسا للباب العالي بهذا الخصوص[9].

ونتيجة كل هذه الضغوط وخشيته من عصيان المماليك اضطر الباب العالي إلى التراجع عن اسناد الولاية الى يوسف ضياء باشا نظرا لقوة سليمان الصغير في الحصول على الولاية[10].

---

(1) B.O.A.HAT1358/53342

(2) أحمد جودت باشا:هو رجل دولة عثماني أداري ومؤرخ وأديب ولد عام1822، كان وزيرا عدة مرات منها وزيرا للعدل وناظرا للمعارف والداخلية والاوقاف والتجارة الف عديد من الكتب في القانون والتاريخ واللغة والمنطق توفي عام1890. للمزيد ينظر:جرجي زيدان،تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر،ج2، مؤسسة الهنداوي للطباعة والنشر، مصر،2017،ص-211 ص212.

(3) الاقجة: مصطلح خاص بالمالية عثماني اصله مغولي وتعني النقد الابيض وهي قطعة صغيرة من النحاس ضربت الاقجة في عهد السلطان اورخان وتستخدم في الاوساط الشعبية للدلالة على النقود. للمزيد ينظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،ط1، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2001 ، ص20.

(4) Mehdi Jawad Habib al-Bustani, ,Baghdad daki Kolemend Hakimiyetinin te sisi ve kaldlrilmasi ile Ali Riza pasa'nin valiligl(1749-1842), Istanbul university , Istanbul ,1979 ,p.23

(5) ايناس عبدالله سعدي، تاريخ العراق الحديث -1258 1918، ط1، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر، بغداد،2014،ص351.

(6) علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق،ص72.

(7) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، ج1،، ط1، مطبعة امير- قم، ايران ،1413هـ - 1992م، ص208.

(8) علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق،ص72.

(9) ايناس عبدالله سعدي،المصدر السابق،ص351.

(10) علاء موسى كاظم نورس،المصدر السابق،ص74.

قدم الباب العالي قرار تعيين سليمان باشا للسلطان العثماني جاء فيه «... **كان قد تقرر اعهاد منصب أيالة بغداد ومدنها الملحقة بها مع سيواس وقيادة الجيش الهمايوني في بادئ الامر الى الصدر الاعظم يوسف ضياء باشا ولما ورد ترشيح سليمان باشا كتخدا الوالي السابق علي باشا فعرض الامر على الحضرة الشاهانية وصدر الفرمان بتعيين الكتخدا سليمان باشا لهذا المنصب مع رتبة الوزارة ووجه له ما يقضيه من اكسائه بالخلعة**[1] ...»[2].

وبذلك اسند منصب والي بغداد الى الكتخدا سليمان الصغير بعد تأخر طويل وصل الفرمان السلطاني بتعيينه واليا على بغداد مع الخلعة التقليدية[3] في اواخر ربيع سنة 1808 [4].

مع توجيه ايالة بغداد للمملوك سليمان الصغير أضاعت الإمبراطورية العثمانية فرصة عظيمة لإنهاء هيمنة المماليك في العراق، فلم يكن امامها خيار اخر غير الموافقة على إبقائهم على رأس السلطة في ولاية بغداد ، واستطاع سليمان الصغير فرض نفسه وشخصيته وحقق مكسبا كبيرا في حصوله على المنصب، كما حضي بترحيب الجميع بولايته على بغداد وكان عمره آنذاك اثنين وعشرين سنة[5].

ثانياً- السياسة الإدارية لسليمان الصغير في بغداد (1808 - 18010)

● أ- الأوضاع الادارية والسياسية

اصبح سليمان الصغير الوالي الحادي عشر لبغداد في العهد المملوكي[6]، وبعد ان اطمئن لنجاحه في كسب الولاية اتجه سليمان الصغير نحو تنظيم شؤون ولايته الادارية والسياسية وادخل اصلاحات في طريقة حكمه[7]، اذ باشر باتخاذ العديد من القرارات والقوانين الجديدة واتبع سياسات جديدة في ذلك العهد تكاد تكون فريدة من نوعها في تاريخ الحكم المملوكي في العراق.

بدأ سليمان الصغير حكمهُ بإعلانه التمسك بالقانون والشريعة وادخل الكثير من الاصلاحات القانونية في طريقة حكمه وسعى لبسط العدل بين الناس[8]، تمثلت تلك الاصلاحات على وجه الخصوص بالقوانين المتعلقة بالشؤون المالية ومنها إبطال قانون مصادرة أموال الناس بدون مبرر شرعي[9].

---

(1) الخلعة يقصد بها العباءة او الرداء يرسلها السلطان الى موظفيه او ولاته او وزرائه إعرابا عن رضاه.ينظر: سهيل صابان،المصدر السابق،ص103.

(2) B.O.A.HAT .53730/1363.

(3) جعفر الخياط،المصدر السابق،ص262.

(4) علاء موسى كاظم نورس،المصدر السابق، ص73.

(5) محمد سهيل طقوش، تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، 2015، ص55.

(6) عدنان حسن علي محبوبة، مقاومة العراقيين للنفوذ الاجنبي 1831-1750، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية- ابن رشد، جامعة بغداد، 1990،ص 27.

(7) جعفر الخياط، المصدر السابق، ص265.

(8) المصدر نفسه، ص265.

(9) كان العراقيين يواجهون غارات قاسية من الجيش المملوكي في حال رفضهم دفع الضرائب الباهضة فكانت تتم مصادرة اموالهم وتحرق قراهم ومزارعهم وتنهب حيواناتهم بعد تعذيب اصحابها بابشع الطرق وقتلهم وفرار الباقين وكان الولاة ياخذون الرهائن من ابناء العشائر ووضع العشائر بموضع مأساوي غير عادل .للمزيد ينظر: عدنان حسن علي محبوبة، المصدر السابق،ص38-37.

كان سليمان الصغير من الولاة القليلين الذين راعوا حقوق الافراد بل يكاد يكون الاول ، فضلا عن اهتمامه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر محاولاً اصلاح حالة المجتمع[1]، ووجه أوامره بإلغاء بعض الرسوم والضرائب المفروضة على سكان الولاية ومنها الغاء عشور المحاكم، وخدمة الباشوية[2]، ورسوم القسام ، والساليانة[3].

ومن الناحية القانونية منع تطبيق الكثير من العقوبات التي كانت مفروضة والغيت الأحكام العقابية التي تصل إلى حد الإعدام وابقى من العقوبات التي تقدرها المحاكم الشرعية ذات الاختصاص كعقوبة القصاص فقط، كما اصدر سليمان الصغير اوامره بدفع رواتب القضاة ونوابهم في محاكم البلاد من الخزينة المركزية الحكومية بشكل منتظم بعد ان كانوا يتقاضون اجورهم من دعاوي الناس في المحاكم[4]، وامر بأن تسلم رسوم الخرج التي كانت تستوفيها المحاكم الشرعية عن المرافعات إلى خزينة الدولة[5].

حمل سليمان الصغير منذ نعومة اظفاره عقيدة السلف في شؤون الدين واطلع على احكام العقيدة فنشأ هو يقدرها ويجلها وحاول تطبيق الكثير من مبادئ الشريعة الاسلامية في حكمه فلم يكن يحابي او يتحيز إلى صغير او كبير او موظف[6].

اهتم سليمان الصغير بالعلم والعلماء والفنون الحديثة واهتم بالابحاث الفلسفية والمناظرات وقرب العلماء من اصحاب عقيدة السلف امثال علي بن محمد السويدي واخذ يستشيرهم في الكثير من امور الحكم الخاصة بالولاية وما يتوافق منها مع الشرع السليم[7]، كما كان يكلفهم بمهمات معينة حتى وصل الامر إلى إثارة الشكوك حول انتماءه للوهابية والتي كانت انذاك مرفوضة في الدولة

(1) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين الاحتلالين حكومة المماليك 1831-1740م، ج6، شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1954، ص201.

(2) ضريبة خدمة الباشوية لم يجد لها الباحث مصدرا يوضح ماهيتها ولكن على اغلب الظن يقصد بها ضريبة البدل العسكري المفروضة من قبل السلطات العثمانية والتي كانت تجبى من الطوائف غير المسلمة كالمسيح واليهود لاعفائهم من اداء الخدمة العسكرية ثم تطورت واصبحت تشمل حتى المسلمين غير الراغبين في التوجه لاداء الخدمة الحكومية.للمزيد ينظر:عدنان القطان، الضرائب والرسوم في العراق خلال العهد العثماني،مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية (الكتروني)، على الموقع التالي:
https://Rasammarkezi.com.

(3) الساليانة: كلمة فارسية وهي الضرائب السنوية التي تؤخذ على بساتين الايالات التابعة للولاية وتسمى بالايالات الساليانية والتي ترتبط بشخص الوالي وتكون الساليانة ضريبة تدفع للخزانة الاميرية يقوم الوالي بجمع ايرادات الايالة المقررة شرعا ومن ثم يستقطع مصاريف الوالي والسنجق وبقية المرافق الادارية في الايالة واخيرا ترسل إلى الخزنة المركزية في اسطنبول تحت اسم ارسالية او= سليانة. للمزيد ينظر:علي شاكر علي، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعراق وفلسطين في العهد العثماني،ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2015، ص50.

(4) احمد علي الصوفي ، المماليك في العراق، مطبعة الاتحاد الجديدة ، الموصل ،1952 ، ص123.

(5) تماضر عبدالجليل ابراهيم، سليمان باشا الصغير ودوره في حكم بغداد 1810-1808، د.م، د.ن ،2018 ، ص23.

(6) جعفر الخياط، المصدر السابق، ص264.

(7) ابن سند، خمسة وخمسون عاما من تاريخ العراق (1188هـ - 1242هـ) وهو مختصر كتاب مطالع السعود بطيب الوالي داوود للشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي، تحقيق: محي الدين الخطيب، د.ط، المطبعة السلفية، القاهرة ،1371هـ، ص107.

العثمانية [1].

فتح سليمان الصغير المجال للعناصر من غير الكرج المماليك للخدمة في الادارة الحكومية وهذا القرار كان ذو تأثير كبير في تحسين الادارة نسبياً والذي انعكس ايجابياً على واردات الخزينة[2]، ويبدو من ذلك القرار ان سليمان الصغير برهن على انه والي عراقي يهتم بمصلحة البلد الذي نشأ فيه اكثر من كونه شخصا من اتباع الدولة العثمانية التي كانت في ذلك الوقت تحكم العراق وما جاوره.

ظهرت في عهد الوالي سليمان الصغير بوادر الاستقلال التام، فمما عرف عن حكم المماليك في العراق هو نزعة الولاة للاستقلال بحكم الولاية مع الحفاظ على الارتباط الاسمي بالسلطان وارسال الاتاوى السنوية للخزينة الهمايونية[3]، الا ان الوضع في عهد الوالي سليمان الصغير مختلف تماما فقد ذهب نحو طموح اكبر اذ هدف إلى تكوين دولة عراقية تحت حكمه المستقل غير مرتبط بالدولة العثمانية وغير ملزم بارسال الاتاوى السنوية إلى الخزينة الهمايونية فأراد ان تحتفظ ولايته بثرواتها وخيراتها وسعيا لتحقيق ذلك الطموح خرج سليمان الصغير عن المألوف واخرج الوظائف من ايدي المماليك بني جلدته وبدأ يستعين بالعراقيين في وظائف الدولة وجعل حكومة بغداد عراقية لا مملوكية ويعود سبب ذلك الاتجاه إلى نشأته في بغداد وتأثره بما فيها من مؤثرات[4].

تميز عهد الوالي سليمان الصغير بتحسن الامن والنظام في البلاد فوق المعدل المعروف في عهد الولاة السابقين وانعدمت في عهده السرقات، فقد كانت سياسة الشدة والحزم في فرض العقوبات على المذنبين من موظفي الولاية مهما كانت منزلته، فكان لا يتوانى عن عزل المسيئين بين الحين والاخر، ففي ايامه عزلَ كلا من الخزنة دار عبدالله اغا والجوقدار طاهر اغا ومتسلم البصرة سليم اغا وغيرهم بسبب تحركاتهم المريبة ومحاولاتهم لاحداث القلائل والفتن وذلك عام 1808[5].

● ب- النفوذ الأجنبي في ولاية بغداد

1- **النفوذ الفرنسي** : شكلت انتصارات فرنسا في اوروبا حافزا للسلطات العثمانية للانحياز نحوها بعد ان وصلت إلى ذروة القوة وبدأت فرنسا تسعى لتشكيل حلف دفاعي يضم الدولة العثمانية وبلاد فارس إلى جانبها ضد انجلترا وروسيا[6].

لم يكن التدخل الفرنسي في العراق كبيرا ويعود السبب إلى العداء البريطاني الا ان فرنسا قامت بمحاولات منها التدخل في اختيار والي بغداد سليمان الصغير ، اذ بدأ النفوذ الفرنسي في العراق يزداد قوة لاسيما بعد صلح اميان[7] بين بريطانيا وفرنسا عام 1802.

(1) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، ج 1، ص 210.
(2) عبد الامير الرفيعي، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية،ج4-3،ط1، العارف للمطبوعات، بيروت،2010،ص181.
(3) جعفر الخياط، المصدر السابق،ص21.
(4) جعفر الخياط، المصدر السابق،ص22.
(5) المصدر نفسه،ص265.
(6) زكي صالح، موجز تاريخ العراق منشأ النفوذ البريطاني في بلاد ما بين النهرين،ط1، مطبعة الرابطة، بغداد ، 1949 ، ص65.
(7) صلح اميان:او معاهدة اميان وقعت في مدينة اميان في 25اذار1805 بين فرنسا وانجلترا خلال فترة حروب الثورة الفرنسية واعتبرت كمعاهدة سلام بموجبها اعترفت انجلترا بجمهورية فرنسا. للمزيد ينظر: محمد فؤاد شكري،الصراع بين البرجوازية والاقطاع (1848-1789)، مج2، ط1، مؤسسة الهنداوي للنشر، بريطانيا،2017، ص31.

أدرك سليمان الصغير أهمية الوساطة الفرنسية في حصوله على الولاية لذلك كان يتعامل مع فرنسا بكل ود واخلاص اثناء ممارسته للوظيفة[1]، إلا أن العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا تدهورت [2] ولذلك سعت بريطانيا للاستفادة من تلك الظروف وعملت من اجل القضاء على نفوذ فرنسا وانعكس ذلك سلبا على والي بغداد سليمان الصغير الذي اصبح عدوا لبريطانيا [3].

2- **النفوذ البريطاني** : واجه سليمان الصغير خلال حكمه لبغداد تحدياً كبيرًا تمثل بالنفوذ الاجنبي، لاسيما البريطاني اذ كانت مسألة التدخل البريطاني في شؤون بغداد تثير غضبه، اذ كان العراق جزءا من المنطقة العربية التي تتأثر بالتحالفات السياسية التي جرت بين الدولة العثمانية والقوى الاجنبية ، واستطاع المماليك ادارة تلك العلاقات في ظل فترة تميزت بالصراعات الدولية والاقليمية على منطقة الخليج العربي[4]، وزاد النفوذ البريطاني في العراق خلال عهد المماليك لاسيما في عهد سليمان باشا الكبير[5] .

إن فوز سليمان الصغير بباشوية بغداد احدث قلقا لدى الدوائر البريطانية في الهند، لاسيما بعد تدخل السفير الفرنسي سباستياني في قرار تنصيبه ووقف إلى جانبه ونجح في اقناع الباب العالي والسلطان بصلاحيته لذلك المنصب[6]، كانت بريطانيا تعمل على إنهاء الوجود الفرنسي في العراق وأي تقارب بين والي بغداد والفرنسيين ليس في مصلحة بريطانيا ومن شأنه إعادة قوة فرنسا في المنطقة[7]، وعلى الرغم من الميول التي اظهرها الوالي سيلمان الصغير للجانب الفرنسي إلا إن بعد توليه السلطة بوقت قصير سعى من اجل توطيد

(1) علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص71.

(2) تدهورت العلاقات بين فرنسا والدولة العثمانية خلال فترة حكم السلطان محمود الثاني (1808-1839) بسبب معاهدة تلست عام 1807 بعد ان تخلى نابليون عن الشرق لادنى لمطامع روسيا. للمزيد ينظر: محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص-87ص88.

(3) تساهيل باقر كامل البوزيادة، سياسة المماليك تجاه العشائر العراقية في ضل الحكم العثماني (1749-1831)، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية البنات للعلوم والتربية، جامعة عين شمس، مصر، 2019 ، ص80.

(4) صباح حسن بديوي، علاقة المماليك بالقوى المحلية والأجنبية في منطقة الخليج العربي1749-1831، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، مج29، عدد28، 2021، ص118.

(5) ارتبط سليمان الكبير مع البريطانيين بعلاقات ودية منذ ان كان متسلما لمدينة البصرة فضلا عن توسطهم له لاطلاق سراحه من السجون الايرانية وسعيهم لحصوله على باشوية بغداد لدى الباب العالي فلذلك حصلت بريطانية في عهده على امتيازات واسعة واستطاعوا تاسيس مقيمية في بغداد عام 1764 تولى ادارتها هارفورد جونز (1798-1806). للمزيد ينظر: صباح حسن بديوي، المصدر السابق، ص120.

(6) صالح محمد جاسم العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي1798-1810، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الاداب، جامعة بغداد، 1978، ص212.

(7) افتتحت فرنسا قنصليتها في العراق عام 1740 ولكنهم اهملوا الجانب التجاري والاقتصادي والسياسي واهتموا بالجانب الثقافي فقط، حاربت بريطانيا الوجود الفرنسي في بغداد مستغلين قوة علاقتهم مع الوالي سليمان الكبير حتى توقف العمل بالقنصلية الفرنسية عام 1765 وقبض على القنصل الفرنسي ووضعه في الاقامة الجبرية وكل العاملين بشركة الهند الشرقية الفرنسية لفسح المجال للنفوذ البريطاني في العراق. للمزيد ينظر: صالح حسن بديوي، المصدر السابق، ص120.

علاقته مع السلطات البريطانية[1].

ويبدو أن للتقارب العثماني- البريطاني اثر كبير في تغير نظرة الوالي سليمان الصغير اذ استطاعت بريطانيا من تحقيق نجاح في مسعاها لدى الباب العالي وتمكنت في 5 كانون الثاني 1809 من توقيع معاهدة سلم وتجارة مع الباب العالي، عرفت بمعاهدة الدردنيل للسلم والتجارة [2].

أسهمت معاهدة الدردنيل في زيادة النفوذ البريطاني في العراق وتم تعيين القنصل كلوديوس جيمس ريتش[3] (Cloudius James Rich) مقيما لبريطانيا في بغداد ، إلا إن التودد الذي أبداه الوالي سليمان الصغير للجانب البريطاني لم يستمر بسبب النفوذ الكبير الذي حققه المقيم البريطاني في بغداد على حساب والي بغداد[4].

اكتسب المقيم البريطاني ريج احترام اهالي الولاية اذ تميز بروحه العالية ومعرفته الواسعة بالعادات والتقاليد العراقية، فضلا عن بعد نظره في الشؤون السياسية[4]، واخذ يسلك مسلكا اخر بعيدا كل البعد عن مهامه المكلف بها فقد تصرف في الولاية وكأنه من كبار رجال البلد بدلا من كونه ممثل لدولة اجنبية فحسب ، وفي عهده أصبحت دار الاقامة البريطانية ملتقى الطبقات الراقية من أهالي وكبار الموظفين والوجهاء وبقيت الدار مفتوحة للضيافة ومجلسا اجتماعيا، كما كانت معهدا لدراسة الاثار القديمة مما ترتب عليه زيادة شعبية ريج بين الناس كما زاد من تدخل ريج في القضايا الخاصة بالبلد، مما اثار غضب وارتياب واليها سليمان الصغير[5].

دخل الوالي سليمان الصغير في نزاع مع ريج ، وبلغ التوتر بينهما في خريف عام1809 اذ استغل

(1) صالح محمد جاسم العابد،المصدر السابق، ص212.

(2) وعرفت باسماء اخرى منها معاهدة التحالف السري او معاهدة شاناك او معاهدة جناق قلعة (القلعة السلطانية) وقعت في القصر العثماني انهت تلك المعاهدة الحرب الانجلو- عثمانية (1809-1807) واعاد الباب العالي بموجبها الامتيازات البريطانية التجارية والقانونية الواسعة بالمقابل تعهد بريطانيا بحماية سلامة الامبراطورية العثمانية ضد التهديد الفرنسي وامدادها بالاسلحة واكدت المعاهدة على مبدأ منع دخول السفن الحربية من أي قوة في مضيق البسفور والدردنيل، وكانت المعاهدة مقدمة لتوقيع اتفاقية مضيق لندن عام1841 التي الزمت الدول الكبرى بنفس هذا المبدأ. للمزيد ينظر: عبدالعزيز محمود الشناوي، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج1، د. ط ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص218-217

(3) كلوديوس جيمس ريتش: هو مستشرق ورحالة وعالم اثار ولد في انكلترا عام1787 ومقيم بريطاني عين في بغداد مقيما لبريطانيا خلال المدة 1820-1808 قضى وقته في جمع مصادر عن بغداد واطلع على العادات والتقاليد وألف العديد من الاعمال نشرت في مجلة (مناجم الشرق) في فيينا والف كتاب مذكرات في خرائب بابل طبع في فينا ايضا ثم طبع في انكلترا وسجل مذكراته خلال رحلته إلى الشرق نشرت عام1836 كما جمع خلال بقاءه في العراق نحو الف مخطوطة بالعربية والفارسية والتركية والسريانية ، توفي في 4تشرين الاول1821 بمدينة شيراز بعد اصابته بالكوليرا. للمزيد ينظر: محمود عباد محمد الجبوري، دور الدبلوماسيين الغربيين في نهب اثار العراق وتخريب معالمه الحضارية. مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، مج7، العدد3، 2012، ص4؛ مجلة المعرفة الالكترونية على الرابط التالي:
https://m.marefa.org

(4) صالح محمد جاسم العابد،المصدر السابق،ص214.

(4) صالح حسن بديوي، المصدر السابق،ص121.

(5) زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام1914دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، د. ط ، مطبعة العاني، بغداد ، 1968 ، ص129.

الوالي صلاحياته وقوته من اجل محاربة نفوذ المقيم البريطاني الذي طغى على نفوذه[1].

وصل النزاع بين الطرفين إلى الحد الذي منع فيه المقيم البريطاني ريج من دخول بغداد بعد ان امضى فترة من الراحة في احد القرى الواقعة على نهر دجلة والتي تبعد حوالي (10) كيلومترات عن بغداد[2]، اثار تصرف الوالي سليمان الصغير غضب المقيم البريطاني ريج فكتب ريج إلى الباب العالي يعلمهُ بتصرفات باشا بغداد تجاهه[3].

ارسل الباب العالي في تشرين الاول 1809 فرمان توبيخ شديد اللهجة لسليمان الصغير، غير أن الأخير لم يلتفت إلى الفرمان، و اخبر الترجمان الخاص بالمقيم البريطاني « **انه ليس من واجبه التدخل في قضايا البلد وعليه ان يمتثل إلى اوامره ، واذا لم يرغب بذلك فعليه المغادرة حالا** »[4].

كان وضع البريطانيين في العراق يختلف عن باقي مناطق الخليج العربي فمن المعروف ان العراق تابع للسلطان من الناحية النظرية وخاضع لسلطة الباشا المملوكي عمليا فكان لابد لبريطانيا ان تتصل بباشا بغداد لتسهيل مصالحها فالامتيازات الممنوحة لهم من قبل الباب العالي لم تكن ذات فائدة حينما يكون والي بغداد لا يسمح بتنفيذها[5].

اظهر تقرير ورد إلى الهند من المقيم البريطاني في بغداد ريج بأن الباشا قد أعلن عن عزمه على مقاومة اي تدخل من القوى الاجنبية في ولايته، ومع ذلك بقيت بغداد مركزا لنقل الرسائل والاخبار من لندن إلى الهند بدون عرقلة من جانب سليمان الصغير[6].

تصاعد النزاع بين الطرفين مما أدى إلى تدخل السفير البريطاني لدى الدولة العثمانية لمستر ادير (Adir) وكتب إلى المقيم في بغداد ريج أشار له في مكتوبه انه في حال لم يتغير موقف الوالي تجاهه بموجب الفرمان الاخير فعليه إخباره ان السفير البريطاني سيتصل بالسلطات العليا ويطلب عزله عن باشوية بغداد[7].

حمل ريج تلك الرسالة الى الوالي سليمان الصغير واخبره بضرورة تحسين سياسته تجاه المصالح البريطانية، وتمكن البريطانيون من التأثير على باشا بغداد سليمان الصغير وانعكس ذلك على موقفه تجاه المقيم بعد تدخل حكومة الهند في الامر واحتجاجها لدى اسطنبول ضده[8] وتم عقد اتفاق معه في25 كانون الثاني1810 تعهد لهم بالموافقة على جميع الامتيازات المعقودة بينهم وبين الدولة العثمانية[9].

كتب المقيم البريطاني في بغداد ريج إلى السير جيمس ماكنتوش في الهند رسالة ذكر فيها ما حققه من انتصار في خلافه مع سليمان الصغير قائلا: «**لقد جعل الباشا من نفسه شخصاً متواضعاً جداً وترك جميع النواحي المختلف عليها ومنحني من الشرف ما لم يمنح**

(1) علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق،ص74.
(2) تساهيل باقر كامل البوزيادة ، المصدر السابق،ص76.
(3) علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق،ص75.
(4) المصدر نفسه ، ص75.
(5) زكي صالح، موجز تاريخ العراق منشأ النفوذ البريطاني في بلاد ما بين النهرين، ص100.
(6) صالح جاسم محمد العابد،المصدر السابق،ص212.
(7) زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام1914دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، ص129؛ علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق،ص75.
(8) تساهيل باقر كامل البوزيادة، المصدر السابق، ص76؛ زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام1914دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري ، ص129.
(9) زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام1914دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري ، ص129.

لاي مقيم في الباشوية»[1]، وهكذا تمكنت بريطانيا من ترويض الوالي سليمان الصغير مما دل على ضعف الادارة المركزية للدولة العثمانية في اسطنبول وتحكم السفراء في شؤون الولايات.

3- **النفوذ الروسي** : شهدت العلاقات بين المماليك وروسيا في عهد الوالي سليمان الصغير اضطرابا كبيرًا بعد تعاون سليمان الصغير مع الفرنسيين فكان عدوا لدودا لروسيا وبذلك بدأ الصراع من اجل إنهاء الوجود الروسي في ولايات الدولة العثمانية ومنها العراق[2].

اتخذ علماء الدين في العراق من قضية اضطهاد الروس للمسلمين في بلاد القفقاس ذريعة للجهاد ضدهم ومارسوا ضغطا شديدا على والي بغداد سليمان الصغير لتنظيم حملة توعية للأقطار المجاورة لاستنهاض همم المسلمين واستعان الوالي بعلماء الدين في العراق لفتوى الجهاد ضد الروس [3].

قدمَ وفد من مدينة قم الفارسية في عهد سليمان الصغير إلى مدينتي النجف وكربلاء للوقوف على رأي رجال الدين والعلماء وفي مقدمتهم الشيخ جعفر كاشف الغطاء[4]، وتم الاتفاق من اجل إصدار الفتوى [5].

(1) نقلا عن: علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص 76.
(2) تساهيل باقر كامل البوزيادة، المصدر السابق، ص81.
(3) المصدر نفسه ،ص81.
(4) الشيخ جعفر كاشف الغطاء: هو جعفر بن خضر النجفي رجل دين وفقيه شيعي عراقي سمي بكاشف الغطاء نسبة الى كتابه (كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء) وصار لقبا لعائلته توفي عام 1813م. للمزيد ينظر: محمد صادق محمد الكرباسي، معجم المصنفات الحسينية،ج3، ط1، دار المعارف الحسينية، لندن، 2001،ص17.
(5) تساهيل باقر كامل البوزيادة، المصدر السابق، ص81.

اتفق علماء الدين جميعا بضرورة خوض حرب مقدسة ضد الروس وتم ارسال الفتاوى من مدينة النجف إلى فارس ونشرت تحت اسم رسائل جهادية طبعت في فارس وتم إعلان الجهاد ضد روسيا القيصرية عام1809 في فترة حكم سليمان الصغير[6].

● ب- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

1- **الأوضاع الاقتصادية** : كان لقُصر فترة حكم الوالي سليمان الصغير سبباً في عدم تمكنه من تطوير القطاع الاقتصادي او تحسين الوضع الاجتماعي في البلاد، اذ انصرف نحو تنظيم شؤون الولاية السياسية والادارية، فضلا عن اهتماماته العسكرية بهدف فرض سيطرته على انحاء الولاية وتوابعها.

كما تميز العهد المملوكي بسوء الحالة الاقتصادية طول فترة حكم الولاة السابقين له وذلك بسبب اسلوبهم المتطرف في ادارة الولاية واستخدام السلطة واهتمامهم بمركزهم اكثر من الاهتمام باحوال الناس، فضلا عن التعسف الذي لاقاه الناس عند جمع الضرائب فحتم على الوالي ارسال الاموال الكبيرة للخزينة المركزية كجزء من التزاماته المادية تجاهها [7]، وكانت الوظائف تشترى من الوالي عن طريق اللزمة فخلق طبقة استغلالية من الكتخدا وجماعته في سبيل جمع المال من الناس[8]، فضلاً عن الكوارث الطبيعية وكثرة الاضطرابات في العقد الاول من فترة حكم المماليك اذ شكلت حاجزا أمام تحسين الوضع الاقتصادي[9].

(6) سيف نجاح مرزة، تاريخ النجف الفكري في عهد المماليك (1831-1750م)، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية، 2005،ص60.
(7) عدنان حسين علي محبوبة،المصدر السابق،ص30.
(8) المصدر نفسه، ص30.
(9) رنا عبدالجبار حسين الزهيري، ايالة بغداد في عهد

ورث سليمان الصغير ولاية تعاني من تردي واقعها الاقتصادي والعمراني ولم يستطع احداث طفرة نوعية في حالة الولاية او تطوير يتميز به عن غيره من الولاة، اذ تميز عهده بقلة الاراضي الزراعية مقارنةً بالأراضي القاحلة التي كان يستوطنها قطاع الطرق على ضفاف دجلة والفرات واتخذوا من بلاد فارس مسرحا لنشاطهم[1].

وصف الرحالة دوبريه حال بغداد في مذكراته بعد رحلته إلى العراق في عهد الوالي سليمان الصغير قائلا: «**ان هذا الشعب نفسه الذي كان في سابق الايام مهتما بالتجارة دون ان يوقف زحف فتوحاته وكان له علاقات تجارية واسعة تمتد من اسبانيا إلى تونكين... واوصل إلى الغرب الفنون والانوار كما اوصل اليهم السلع المفيدة للعيش، اسفي على هذا الشعب الذي لا يعيش اليوم الا عن طريق السلب والنهب محتقرا التجارة التي رفعت في سابق الايام من مجده وازدهاره**»[2].

واعتمدت بغداد في عهد سليمان الصغير على تجارة صبغ الاقمشة المسماة (الموسلين) او الموصلية كما يصبغون المناديل الحريرية المصنوعة في جيلان[3]، ونظرا لموقع بغداد الاستراتيجي جعلها مستودعا لانواع مختلفة من البضائع سواء من اوروبا أو مركز الدولة العثمانية او بلاد فارس وبلاد العرب[4].

تصل البضائع من اسطنبول إلى بغداد عن طريق سعاة البريد الذين كانوا يحضرون معهم اجود انواع الاقمشة من الكشمير والساتان فضلاً عن اللؤلؤ بتكاليف تصل ما بين20-10قرش تودع في بغداد ثم يتم شحنها إلى البصرة بتكاليف غير ثابتة وحسب اختلاف الفصول ونسبة مياه نهري دجلة والفرات مع استفادة بغداد من رسوم النقل[5].

شهدت بغداد في عهد سليمان الصغير تزايد أعدادا الزوار الأجانب القادمين للسياحة والزيارات الدينية مما وفر موردا ماليا مهما من خلال ضرائب الدخول المفروضة على الاجانب تقدر بـ (30) بارة[6]، وشرائهم البضائع المفيدة لهم من اسواق بغداد ويخمن عدد الزائرين سنويا بحوالي (15- 20) ألف وأحيانا يصل عددهم إلى (30) الف زائر معظمهم يأتون إلى المراقد الدينية [7].

2- **الأوضاع الاجتماعية** : مثلت الحالة العمرانية انعكاس لحالة البلاد الاقتصادية فكانت الولاية في حال رثة خالية من اي نهضة عمرانية او تطوير اذ

الوالي علي رضا اللاظ (1842-1831)، رسالة ماجستير، كلية الاداب،جامعة بغداد، 2005، ص.

(1) دوبريه، رحلة دوبرية الى العراق 1809-1807، ترجمة وتعليق: بطرس حداد، ط1، دار الوراق للنشر والتوزيع، بغداد ، 2011 ص122.

(2) المصدر نفسه ، ص122.

(3) جيلان: او غيلان هي احدى مناطق ايران وتعرف ايضا بأسم الديلم تقع على اطرافها بحر قزوين شمالا واذربيجان جنوبا واردبيل شرقا. للمزيد ينظر: مجلة المعرفة الالكترونية،تاريخ لدخول 5تموز2023، على الموقع: https://m.marefa,org

(4) رحلة دوبريه الى العراق، المصدر السابق ،ص141.

(5) رحلة دوبريه الى العراق، المصدر السابق ،ص-142 ص143.

(6) البارة: وهي كلمة فارسية وتعني شقفة او قطعة وهي اصغر وحدة نقدية عثمانية، اطلق العثمانيون لفظ بارة على القطع الفضية وضربت عملة البارة في عهد السلطان مراد الرابع وهي اصغر قيمة من القرش فكل 40 بارة تساوي قرش. للمزيد ينظر: عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية (1917-1258)، د. ط ، شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1958، ص146-145.

(7) رحلة دوبريه الى العراق، المصدر السابق ، ص133 - ص134؛ علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص124.

كانت بغداد مهملة من الداخل والطرق غير معبدة مليئة بالغبار والطين، واتصفت بالتخلف والفقر و اغلب بيوتها بالية ومهدمة تبعد بينها مسافات مما يوحي بالحالة الاقتصادية السيئة لسكانها بالرغم من خيرات العراق الكثيرة[1]، وكثرت في بغداد الخانات أشهرها خان الاورتمة[2]، فضلا عن كثرة الجوامع التي لا تتميز بشيء يذكر.

وامتازت بغداد آنذاك بانخفاض نسبة السكان بسبب الطاعون الذي فتك بالأرواح منذ عام 1773 اذ بلغ سكانها (76) الف نسمة خلال فترة ولاية سليمان الصغير، وكانوا ذو أصول مختلفة وقدر عدد أسرها بـ (15,222) الف منها (112) أسرة أرمينية وسريانية و(9) أسر كلدانية و(2000) من اليهود وبلغ عدد المسلمين (3000) اسرة من العرب والفرس، فضلا عن 6عائلات اوربية ومثلهم من اليونانيين[3].

اتبع الوالي سليمان الصغير سياسة التسامح الديني تجاه سكان الولاية من غير المسلمين فلم تلاقي الأقليات الدينية مضايقات كبيرة وتمتعوا بالحرية التامة و سمح لهم بارتداء الاحذية الصفراء التي كانت ممنوعة عليهم في كافة البلاد العثمانية وكان عليهم دفع الجزية عند البلوغ وكانت لا تتجاوز العشر بارات، اما في منطقة كردستان فكانت تلك الضريبة اكثر اذ تصل إلى خمسة عشر قرشا[4]، ومع ان المذهب السائد في الولاية هو المذهب السني كما هو سائر في مركز الدولة العثمانية لكن سكان بغداد من الفرس كانوا يمارسون ديانتهم حسب المذهب الشيعي بحُرية، الا انهم غير مسموح لهم بتشييد أماكن عبادة علنا حسب سياسة العثمانيين التي منعت ذلك[5].

وبالرغم مما تميز به عهد الوالي سليمان الصغير من سعيه لمراعاة مصالح الناس، الا انه اهتم بأنفاق الأموال الطائلة على جيشه الكبير لضمان ولائه لهُ[6] كما اهتم بتدوين واردات الولاية مع بيان مقدار ما قد جرى صرفه من تلك الواردات على الجيش وترميم الأسوار المحيطة بالمدينة لاجل حماية الولاية من هجمات الفرس أو تحرشات الوهابيين[7]، كما امتاز الوالي سليمان الصغير بحبه للبذخ والاسراف حتى انه تفوق على كل الولاة الآخرين في الدولة العثمانية، فكان في بيته نحو ستمائة شخص بين عسكر وغلمان وخدم ، وبلغ عدد الحرس الخاص بقصره ثمانمائة شخص اطلق عليهم اسم (براتلي)[8].

---

(1) عدنان حسين علي محبوبة،المصدر السابق،ص30.

(2) خان الاورتمة او الاورطمة أي الخان المستور او المغطى بالتركية الذي شيده الفرس تم بناءه عام1358م وقد رممته مديرية الاثار العامة وجعلته متحفا اسلاميا اطلق علية دار الاثار العربية للمزيد ينظر:مصطفى جواد واحمد سوسة، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد،1958.ص220.

(3) رحلة دوبريه الى العراق، المصدر السابق ،ص129.

(4) المصدر نفسه ، ص132.

(5) المصدر نفسه، ص 133.

(6) رنا عبدالجبار حسين الزهري،المصدر السابق، ص8.

(7) رحلة دوبريه الى العراق،المصدر السابق، ص113.

(8) براتلي او براطي وهي كلمة تركية الاصل تعني صاحب القلنسوة الكبيرة واطلق عليهم هذا الاسم لانهم كانوا يضعون على رؤوسهم قبعات من جلد الثعلب، فضلا عن هيئتهم اذ كانوا رجال اقوياء الجسم .للمزيد ينظر: يعقوب سركيس، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والاثار وخطط بغداد الخ، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1948، ص33؛ رينهارت دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت،2012، ص62.

أما حراس القصر فكانت هناك فرقة من حملة البنادق يقال لهم (تفكجية) برأسهم عقيد برتية (مطارجي)[1]، وعندما كان الوالي سليمان الصغير يخرج للنزهة او الصيد يرافقه نحو الف شخص، وكانت الاحتفالات التي تجري في الولاية تشابه إلى حدا كبير ما يجري عند السلطان فيتقدم الوالي رجالا حاملين فأسا وعلى رأسهم قلنسوة باللون الاحمر ذات ريش[2].

إذ بلغ الغرور بالوالي سليمان الصغير إلى حد انه اعتبر نفسه سلطانًا مستقلاً وليس تابعا للدولة العثمانية، فمن الجدير بالذكر ان صفة الغرور الكبير قد لازم سليمان الصغير منذ تربعه على كرسي الباشوية[3] .

ثالثاً- موقف الدولة العثمانية من ادارة سليمان الصغير لولاية بغداد

لم تلقى الإجراءات التي اعلن عنها الوالي سليمان الصغير في ولاية بغداد ترحيبا من أطراف عديدة سواء في الولاية او السلطات العثمانية في اسطنبول، ففي بغداد أثارت إصلاحات الوالي سليمان الصغير الرجعيين واعتبروا ان ما يقوم به الوالي بدعة واعتبروها خارجه عن القانون المتبع لدى الدولة والتقاليد المعروفة انذاك، فضلا عن اعتبارها تحريضا من علماء بغداد الوهابيين ولم يكتفوا بذلك بل وصل بهم الحد إلى اتهام الوالي سليمان الصغير باعتناقه المذهب الوهابي[4].

سخط موظفي الولاية على سليمان الصغير لتسببه بقطع ارزاقهم وحال بينهم وبين مكاسبهم غير المشروعة، ومما زاد في تعقيد الامور هو تشدده في تطبيق قراراته وإدارته لشؤون الايالات التابعة لولايته فخلق الكثير من الاعداء والمناوئين له ، عمل خصوم سليمان الصغير على تشويه سمعته لدى الباب العالي فمارسوا اسلوب الوشاية والتحريض ضده واتهموه باعتناق الوهابية، اذ كانت تلك التهمة بغيضة انذاك[5].

بعد تولى حكم الدولة العثمانية السلطان محمود الثاني (1808-1839)[6]، وجد ان والي بغداد سليمان الصغير لم يكن يسير في خطى الدولة العثمانية وانه غير ملتزم بالقوانين والالتزامات التي قطعها حينما تمت المصادقة على تعيينه في منصبه[7]، وكانت مشاعر الحذر والكره تجري في نفسه ضد والي بغداد سليمان الصغير، كما أدى تلكئه في إرسال الأموال للباب العالي إلى زيادة الهوة بين الطرفين، فضلا إلى قيام البريطانيين بالتحريض ضد إجراءات سليمان الصغير واخذوا يعملون على إزاحته من ولاية بغداد عقب دخوله في نزاع مع المقيم البريطاني

(1) مطارجي: هي لفظة تعني حامل القربة وفي الجيش العثماني لعله تعني المسؤول عن حمل قرب الماء للجيش اثناء المعارك وهو ضابط انكشاري. ينظر:رحلة دوبريه الى العراق،المصدر السابق، ص114.

(2) المصدر نفسه ،ص114.

(3) علي الوردي، المصدر السابق،ج1، ص209.

(4) تماضر عبدالجليل ابراهيم، المصدر السابق،ص23.

(5) جعفر الخياط، المصدر السابق، ص265؛ علي الوردي، المصدر السابق، ص209.

(6) محمود الثاني: هو ابن السلطان عبدالحميد الاول كان السلطان الثلاثون للدولة تولى العرش عام1808 توفي اثر اصابته بمرض السل عام1839.للمزيد ينظر: ليلى دامس عقيل الرويلي، السلطان محمود الثاني واصلاحاته 1808-1839، رسالة ماجستير (غيرمنشورة)، كلية الاداب،جامعة اليرموك، الاردن ، 2013 .

(7) جعفر الخياط،المصدر السابق،ص237.

جيمس ريج [1].

لم تساند السلطات العثمانية إصلاحات سليمان الصغير القانونية، اذ نظرت إلى تلك الإصلاحات على انها مفسدة لإدارتها لاسيما بعد ان عرفت انه حاول إصلاح القضاء وفق توجيه من علماء بغداد ذوي الميول الوهابية[2].

بين احمد جودت باشا في تعليق له على اصلاحات سليمان الصغير «**لا شك في إن هذه الاعمال تدل على حسن النية غير انه لم يكن من الجائز للوالي إن يقدم عليها من تلقاء نفسه لاسيما إبطال تلك الامور في الوقت الذي كانت فيه جارية ومعمولا بها في سائر الولايات العثمانية وهو بمثابة إعلان عن (ظلم دولته المتبوعة) عن طريق تلميح فضلا عن أن إقدامه على ذلك يعد تقليدا للوهابيين الذين كان الواجب محاربتهم والتنكيل بهم**»[3].

ومما لا شك فيه ان القضايا المالية والاتاوات السنوية هي السبب البارز في سوء العلاقة بين السلطات العثمانية ووالي بغداد سليمان الصغير، لا سيما اذا علمنا إن الدولة العثمانية في ذلك الوقت كانت تعاني من ظروف مالية حرجة فقد كانت مصاريفها كثيرة وامورها مرتبكة، في حين كان ولاة الامر في الدولة ينظرون إلى ان العلاقة بين الحاكم والرعية تقوم على الجباية واستحصال الاموال بالدرجة الاولى[4].

يتضح لنا ان عدم قيام الوالي سليمان الصغير بدفع الاموال التي تعهد بها أدت إلى إساءة العلاقة بينه وبين الدولة العثمانية حتى وان ادخل اصلاحات في الولاية فقد كانت نظرة الدولة للولايات ومنها ولاية بغداد على انها مورد مالي للخزينة الهمايونية فقط.

الخاتمة :

في نهاية البحث توصل الباحث إلى عدة استنتاجات وهي كالتالي:

1. استندت السياسة الادارية للوالي سليمان الصغير على طموحة الشخصية ورأي علماء الدين دون مراعاة القوانين العثمانية التي كانت دستورا للولايات التابعة لها .
2. تميز سليمان الصغير بكونه شخصية متناقضة فرغم كونه شخصا ذكيا محبا للعدل والاصلاح والتخفيف عن الرعية الا انه من جهة اخرى كان يتملكه الغرور الشديد فكان لا يبالي بالسلطة العثمانية ويعمل وفق ما يراه مناسبا له وليس ما يناسب الدولة وتجلى ذلك واضحا في أعماله الإدارية في ولاية بغداد.
3. لم يعتمد سليمان الصغير الشورى في ادارة ولايته بل مثلت اراءه ونزواته اساسا في اتخاذ القرارات المهمة لاسيما انه كان ميالاً للانفرادية والطيش في ادارة الولاية.
4. دخل سليمان الصغير في نزاع مع سفراء الدول الاجنبية وذلك لمنع وجود قوة تنافس قوته في بغداد وتوابعها.

(1) علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق،ص74.
(2) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط2، دار العلم للملايين، بيروت ، 1960 ،ص64.
(3) نقلا عن : ساطع الحصري،المصدر السابق،ص64.
(4) جعفر الخياط، المصدر السابق،ص269.

المصادر

- رسول حاوي الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة: موسى كاظم نورس، دار الكتاب العربي، بيروت – مكتبة النهضة بغداد، د.ت .
- B.O.A.HAT. 54084/1366. 3 (ملحق رقم)
- علي ظريف الاعظمي، مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث او بغداد في (4000) سنة، مطبعة الفرات، بغداد، 1926.
- علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق 1830–1750، منشورات وزارة الاعلام، العراق، د.ت.
- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ط1، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ،2001
- B.O.A.HAT.108/4282. 4 (ينظر ملحق رقم)
- جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة،ج1،ط1، مطبعة دار الكتب، بيروت ، د.ت.
- خالد زيادة، المسلمون والحداثة الاوروبية، ط1، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، بيروت،2017،
- B.O.A.HAT1358/53342
- جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج2، مؤسسة الهنداوي للطباعة والنشر، مصر،2017.
- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،ط1، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،2001
- Mehdi Jawad Habib al-Bustani, ,Baghdad daki Kolemend Hakimiyetinin te sisi ve kaldlrilmasi ile Ali Riza pasa'nin valiligl(1749-1842), Istanbul university , Istanbul ,1979 ,p.23
- ايناس عبدالله سعدي، تاريخ العراق الحديث 1918–1258، ط1، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر، بغداد، 2014.
- علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، ج1،، ط1، مطبعة امير– قم، ايران ، 1413هـ– 1992م .
- B.O.A.HAT .53730/1363.
- محمد سهيل طقوش، تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ،2015.
- عدنان حسن علي محبوبة، مقاومة العراقيين للنفوذ الاجنبي1831–1750،رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية– ابن رشد، جامعة بغداد،1990.
- عباس العزاوي، تاريخ العراق بين الاحتلالين حكومة المماليك 1831–1740م، ج6، شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1954.
- https://Rasammarkezi.com.
- علي شاكر علي، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعراق وفلسطين في العهد العثماني، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع،عمان،2015.
- احمد علي الصوفي ، المماليك في العراق، مطبعة الاتحاد الجديدة ، الموصل ،1952 ،ص123.
- تماضر عبدالجليل ابراهيم، سليمان باشا الصغير ودوره في حكم بغداد 1810–1808، د.م، د.ن، 2018 .
- ابن سند، خمسة وخمسون عاما من تاريخ العراق (1188هـ–1242هـ) وهو مختصر كتاب مطالع السعود بطيب الوالي داوود للشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي، تحقيق: محي الدين

الخطيب، د.ط، المطبعة السلفية، القاهرة، 1371هـ.
- عبد الامير الرفيعي،العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية،ج4-3،ط1، العارف للمطبوعات، بيروت،2010.
- زكي صالح، موجز تاريخ العراق منشأ النفوذ البريطاني في بلاد ما بين النهرين،ط1، مطبعة الرابطة ، بغداد ،1949 .
- محمد فؤاد شكري، الصراع بين البرجوازية والاقطاع (1848-1789)، مج2، ط1، مؤسسة الهنداوي للنشر، بريطانيا،2017.
- تساهيل باقر كامل البوزيادة، سياسة المماليك تجاه العشائر العراقية في ضل الحكم العثماني (1831-1749)، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية البنات للعلوم والتربية، جامعة عين شمس، مصر، 2019
- صباح حسن بديوي، علاقة المماليك بالقوى المحلية والأجنبية في منطقة الخليج العربي1831-1749، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، مج29،عدد28، 2021.
- صالح محمد جاسم العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي1810-1798، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الاداب،جامعة بغداد، 1978.
- عبدالعزيز محمود الشناوي، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج1، د. ط ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1980.
- محمود عباد محمد الجبوري، دور الدبلوماسيين الغربيين في نهب اثار العراق وتخريب معالمه الحضارية. مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، مج7، العدد3، 2012، ص4؛ مجلة المعرفة الالكترونية على الرابط التالي: https://m.marefa.org
- زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام1914دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، د. ط ، مطبعة العاني، بغداد ، 1968 .
- محمد صادق محمد الكرباسي، معجم المصنفات الحسينية،ج3، ط1، دار المعارف الحسينية، لندن،2001.
- سيف نجاح مرزة، تاريخ النجف الفكري في عهد المماليك (1831-1750م)، رسالة ماجستير ،الجامعة المستنصرية، 2005.
- رنا عبدالجبار حسين الزهيري، ايالة بغداد في عهد الوالي علي رضا اللاظ (1842-1831)، رسالة ماجستير، كلية الاداب،جامعة بغداد،2005.
دوبريه، رحلة دوبرية الى العراق 1809-1807، ترجمة وتعليق: بطرس حداد، ط1، دار الوراق للنشر والتوزيع، بغداد ، 2011 .
- عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية (1917-1258)، د. ط ، شركة التجارة والطباعة، بغداد،1958.
- جواد واحمد سوسة، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد،1958.
- رينهارت دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت،2012.
- ليلى دامس عقيل الرويلي، السلطان محمود الثاني واصلاحاته 1839-1808، رسالة ماجستير (غيرمنشورة)، كلية الاداب، جامعة اليرموك، الاردن، 2013 .

● ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط2، دار العلم للملايين، بيروت ، 1960، ص 64.